على اختياره للمؤتمر ، ثم ان حسن سلوكه في المؤتمر ، وثباته بعد اتمام عمله فيه على السعي الى الاصلاح مع الارتباط بالحزب وتقيده بقراراته ، وانقطاعه عن كل عمل لأجله ، على كونه ينفق من مال نفسه - وناهيك بسعة النفقات في أوربة - كل ذلك كان من الاسباب الجديدة لرضاء الحزب بقبوله لمنصب عضوية الاعيان والتوسط لدى الحكومة في الاصلاح ، واما السبب الأول فهو كفاءته الشخصية في صدقه واخلاصه وتاريخه الحميد النقي ، كما أشرنا الى ذلك من قبل .

***

بقيت المسألة الرابعة ، وهي بيان حالة الحزب الحاضرة . والقول الوجيز فيها ان الحزب — وان لم يسمع له صوت عال من عدة أشهر — قد أصبح أقوى مما كان ، منذ أسس الى الآن ، فقد كثرت فروعه في الولايات وانتظمت ، وقويت الثقة به وثبتت ، وانحصرت آمال طلاب الاصلاح فيه أو كربت ، ويصح ان يقال ان طوره الأول كان طور تمهيد للعمل بإعداد الافكار ، ثم بتأليف اللجان ، وقد انتهى الآن بطور القيام بالاعمال ، وان قيامه بالعمل ، واضطلاعه بالسعي ، هو خير خدمة للدولة قبل الامة ، لما أثبته الماضي لرجاله من الروية وحسن النية ، فكانت المصلحة في أن يدير هو الحركة ، لئلا تفضي الى الفوضى ، أو يتغلب عليها الغلاة المتطرفون ، الذين ظهرت في مدة سكوته اصواتهم بنغمة الثورة ، وتوزيع منشورات أقلقت الحكومة وعقلاء الامة . ويقال انه يريد ان يبدأ عمله بجمع مؤتمره السنوي وتجديد انتخاب أعضاء اللجنة العليا ، وعرض المشروعات الجديدة للعمل عليها ، ومنها تحويله الى جمعية ، اذا لم تصدق عليه الحكومة . فقد اقترح هذا كثيرون . وعسى ان تكفيه الحكومة هذا الامر ، فتبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها والله الموفق .

الشيخ علي يوسف

٤

﴿ أخلاقه وسجاياه ﴾ المنار لا يعنى بترجمة أحد ترجمة تاريخية محضة وإنما يعنى من تراجم الناس ببيان الاخلاق الحسنة والاعمال النافعة ، التي تكون مثلا حسنا ، وقدوة صالحة ، لأن غاية المنار اصلاحية فهو يعنى بكل ما يتوسل به

الى الاصلاح ، ويرغب الناس في الفضائل ومحاسن الاعمال ، وان ذكرنا مايقابل ذلك فانما نذكره لان العبرة لاتتم الا به ، ولا يجعل ذكر المساوي هو الاصل في الموعظة ، وقد كان ماذكرناه من ترجمة هذا الرجل دائر على هذا القطب ، وأحببنا أن نختمها بهذه الكلمات التي تذكر الناسي وتنبه الغافل لما هو المقصود بالذات . فنقول أن هذا الرجل نبه بعد خمول ، وارتفع بهمته وأخلاقه الى الطبقة العليا في أمته ، فصار من بطانة أمير البلاد وأهل ثقته . وصاحب التأثير الاول في أفكار المصريين ، والرأي المحترم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكم من متعلم نال الدرجات العلى في العلوم والفنون العربية والافرنجية يتمنى أن يصل الى ماوصل اليه الشيخ علي يوسف بما دون درجات علمه وهو لا يستطيع الى ذلك سبيلا ، لأن من أبطأت به سجاياه وأخلاقه لاتسرع به علومه وفنونه ، فأحب أن تتذكر ايقننا أن الرجل قد ارتقى بالعزيمة . وقوة الارادة والصبر والثبات وعلو الهمة ، والاخلاص للملة والامة . فمن استطاع ان يتخلق بهذه الاخلاق " فليقصد بها ماشاء من مراتب الكمال ، ومقامات الرجال . وليحذر المعتبر بسير رجال عصره من الوقوع في مثل الخطأ الذي ارتكبه هذا النابغة وأمثاله من النوابغ (كقاسم بك أمين) وهو محاولة استعجال الثروة الواسعة التي تليق بمقامهم الاجتماعي بسلوك الطرق التي ربما تؤدي الى ضد مرادهم ، والشيخ رحمه الله عصمته تربيته الدينية ان يفتتن بما افتتن به كثير من كبرائنا المتفرنجين من المقامرة ، وانما تورط في شراء الدور والقصور وعرصات الارض المعدة للبناء في تلك المدة التي خرج فيها التغالي بالاثمان عن الحد الطبيعي الذي وصلت اليه درجة العمران في البلاد . ولما عادت (سنة ردّ الفعل) باثمان المباني وعرصاتها الى مادون الثمن المعتدل لها ، بعد ذلك الافراط فيها ، غرق الرجل مع من غرق في طوفانها ، ولولا ذلك لما قصرت ثروته بما يليق بمقامه الاجتماعي ، على ما كان من تقصيره في ادارة المؤيد المالية . وما ذكرنا هذا على كونه معروفا مشهورا الا ليكمل الاعتبار بسيرة فقيدنا النافعة طردا وعكسا ، ونسأل الله تعالى ان يتغمده برحمته ، بمنه وفضله وكرمه .

(تنبيه) وقع في السطر ٢٢ من ص ١٦٨ من هذا الجزء كلمة سب خطأ وصوابها (سبب)